النشـــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٥١ / ١٩٩٩

الأحد ١٩ كانون الأول

الأحد قبل الميلاد

أحد النسبة

القديس الشهيد بونيفاتيوس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

الـــرســـالـــة (عبرانيين ١١: ٩-١٠ ؛ ١١: ٣٢ - ٤٠)

الإنـــجـــيـــل (متى ١ : ١ ـ ٢٥)

+ أحد النسبة

لقد رتّب آباء الكنيسة أن نقرأ في الأحد الذي يسبق عيد ميلاد الرب يسوع المقطع الإنجيلي المتعلّق بنسب يسوع بحسب الجسد (متى ١:١-١٧). في هذا اليوم نحتفل أيضاً بذكرى أولئك الرجال والنساء الذين آمنوا بالإله الحقيقي وهيّأوا الطريق لمجيء ابن الله بالجسد. إنّه احتفال بإيمانهم وتأكيد على أنّ هذا الإيمان تحقّق، ووجد كماله في المخلّص الموعود الذي هو يسوع المسيح الرب.

كان همّ الإنجيلي متى وباقي الرسل والمبشّرين أن يقودوا الناس إلى الإيمان بالرب يسوع على أنه المخلّص. كل منهم استعمل أسلوبه الأدبي الخاص به لينقل البشارة. البشارة هي

نفسها ولكن الأسلوب يختلف. الإنجيلي متى استهلّ إنجيله بكتابة « سلالة » يسوع لكي يبيّن لسامعيه اليهود، أو الذين هم من أصل يهودي، مَن هو يسوع الذي يُبشَّر به. إن يسوع الذي وُلِدَ في بيت لحم هو المسيح المنتظَر الذي كان يُبشِّر به الأنبياء في العهد القديم. والسلالة مهمة لكي يثبت لهم أنه يهودي وأجداده هم أجدادهم. هذا مهمّ لكي لا يرفضوه. يتبع متى في عرض هذه السلالة أسلوباً مألوفاً في تلك الأيام يبيِّن فيه مَن هم أجداد المسيح. لذلك نقرأ في الإصحاح الأول « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابرهيم...» .

يتّضح من هذه البداية أن متى لم يهدف إلى استعراض سلالة يسوع لمجرّد العرض. همّه أن يقول لنا أن جدّيه كانا داود وابرهيم، «لأن هذين الشخصين كانا موضع إعجاب: الأول (داود) كنبي وملك، والثاني (ابرهيم) كأب ونبي» (يوحنا الذهبي الفم). قول متى أن يسوع هو ابن داود يعني أن يسوع هو المسيح والملك: «من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك. أقسم الرب لداود بالحق ولا يرجع عنه، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك» (مز ١٣٢:١٠ و١١) و«ها أيام تأتي يقول الرب وأُقيم لداود غصن برّ فيملك ملك وينجح ويُجري حقاً وعدلاً في الأرض» (ارميا ٢٣:٥). أما قوله أن ابرهيم هو جد يسوع فيعني أن الموعد، موعد البركة، الذي أعطاه الله لإبرهيم قد تمّ في يسوع المسيح.

أهمية ابرهيم تكمن في أن الوعد الذي أعطاه الله لآدم ونسله من بعده: «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢:١-٣) قد صار مع ابرهيم عهداً، أي صار للإنسان دور في هذا الوعد: وعدٌ من الله واستجابةٌ من البشر (بشخص ابرهيم): «وقال بذاتي أقسمت يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركةً وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك في نسلك جميع الأمم، من أجل انك سمعت قولي» (تك ٢٢:١٦-١٨). لهذا لم يبدأ متى السلالة من آدم كما فعل الإنجيلي لوقا، لأنه كان يعرف أهمية ابرهيم لدى اليهود. به أُعطِيَ الوعد وصار عهداً، صار الوعد ملموساً، انتقل من الكلام إلى مرحلة التطبيق الفعلي، وبيسوع تحققت المواعيد التي أُعطِيَت لإبرهيم: «فكل الذين يؤمنون بالمسيح، سواء أكانوا مختونين أم غير مختونين، من اليهود أم من غير اليهود، من الممكن أن يكون لهم نصيب في بركات ابرهيم (غلاطية ٣:١٤) ويجعلهم ايمانهم النسل الروحي لمن آمن وصار منذ ذلك أباً لجميع المؤمنين (رومية ٤:١١-١٢)، «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع... فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل ابرهيم وحسب الموعد ورثة» (غلاطية ٣:٢٦-٢٩)» .

بعد أن يستعرض متى أسماء أجداد المسيح يكتب «فجميع الأجيال من ابرهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً» (١٧:١). لقد قسم جميع الأجيال إلى ثلاث مراحل، كلٌ منها أربعة عشر جيلاً أي ست مرات سبعة أجيال (١٤×٣= ٦×٧). والعدد سبعة كان يُعتبر في العهد القديم عدداً كاملاً وهو يرمز إلى الكمال، ولأن العدد سبعة يرمز إلى الكمال تكون بداية الجيل السابع هي بداية المرحلة الأخيرة والأكثر كمالاً من تاريخ الخلاص. يريد الإنجيلي متى أن يقول لنا أن يسوع هو بداية المرحلة السابعة، أي مرحلة الكمال، مرحلة تحقيق تدبير الله، المرحلة الأخيرة من الخلاص الذي وعد به الله ابرهيم.

أما السؤال لماذا قسم الأجيال إلى ثلاثة وليس إلى ستة، فلكي يُظهر أهمية ابرهيم وداود والسبي وصولاً إلى يسوع. ما يؤكّد هذا الكلام، وبحسب ما لاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم، هو أن متى دوَّن في القسم الثالث من الأجيال إثني عشر اسماً فقط «مؤكداً أنها أربعة عشر، ويبدو لي أنه في هذا الموضع يضع مكان جيل كلاً من السبي والمسيح نفسه، رابطاً المسيح معنا بكل وسيلة. إنه يذكّرنا بذلك السبي، موضحاً أن اليهود لم يصيروا أكثر اتّزاناً حتى عندما نزلوا هناك (في بابل)، لكي يُبان قدوم المسيح ضرورياً من جهة كلّ شيء» (الذهبي الفم).

أما داود فهو الوحيد الذي يسمّيه متى «الملك» من بين كل الملوك الآخرين المذكورين في السلالة، مع العلم أن كلّ اليهود يعرفون أن داود كان ملكاً. لقد ذكر أنه ملك لكي يشدّد على ملكية يسوع المسيح. والملك كما نعرف هو ممسوح الله (كان الكاهن يمسحه بزيتِ طيبٍ ليقيمه ملكاً). ويسوع هو من سلالة ملكية، هو ملك، ممسوح الله، أي مسيح. مع داود تحقّق وعد الله بتملّك الأرض، ومعه وصلت المملكة إلى أقصى ازدهارها. لذلك صار داود رمزاً للملكية. لكن الملكية كانت سبب هلاك الشعب العبراني لأن الملوك تبعوا آلهة أخرى غير الله ولم يحكموا بالعدل وحصل السبي إلى بابل، وعادت الأمور إلى نقطة الصفر كما كانت أيام ابرهيم. خلال السبي تكلَّم الأنبياء ووعدوا بملك جديد، لكنه ليس أرضياً بل سماوي. وهكذا كانت مرحلة ما بعد السبي مرحلة تهيئة للوصول إلى يسوع المسيح الذي هو الملك الأوحد، ممسوح الله، الذي به تحقّق الخلاص وورثنا الأرض، إنما أرض الملكوت هذه المرة. هو ملك إلهي وليس ملكاً أرضياً، وهذا الملك ممسوح من الله مباشرة وليس بواسطة كاهن.

يبقى تساؤل أخير: لماذا لم يذكر متى سلالة نسب مريم، وذكر سلالة يوسف وهو الذي لا دور له في الولادة؟ «لم يكن من الناموس بين اليهود أن يتم تعقّب سلالة النساء. فلكي يحفظ متى هذه العادة، ولكي لا يبدو أنه يصنع تجديدات منذ البداية، يتغاضى عن أسلاف العذراء صامتاً... بإعطاء سلالة يوسف أعطى متى أيضاً سلالة نسبها، لأنه كان من الناموس أنه لا

يجوز للمرأة أن تُؤخذ زوجة من إنسان من قبيلة مختلفة وليس من نسل أبيها (عدد ٣٦:٨-٩). فمن الواضح أن سلالة يوسف تشمل سلالة مريم والدة الإله لأنها كانت من القبيلة نفسها والنسل نفسه» (الذهبي الفم). فإذا كان يوسف من نسل داود فمريم هي أيضاً من نسل داود، ويسوع هو ابن داود والملك والرب والمسيح.

+ في كيفية الحبل بالكلمة وفي التجسّد الإلهيّ

... وملاك الربّ قد أُرسل إلى العذراء القديسة المنحدرة من قبيلة داود (لو ١:٢٧)، - «لأنه من الواضح أنّ ربّنا خرج من يهوذا، من السبط الذي لم يتقدّم منه أحدٌ قط إلى المذبح» وقال الملاك في تبشيره: «سلام يا ممتلئة نعمةً الربّ معك» (لو ١:٢٨). أمّا هي فاضطربت لكلامه، وقال لها الملاك: «لا تخافي يا مريم فقد وَجَدتِ نعمةً لدى الربّ، وتلدين ابناً وتسمّينه يسوع» (لو ١:٣٠).

«وهذا يخلّص شعبه من خطاياهم» (متى ١:٢١). - ومن هنا فإنّ كلمة يسوع تعني المخلِّص. - أمّا هي فكانت متحيّرة: «كيف يكون لي هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟» (لو ١:٣٤). فقال لها الملاك ثانيةً: «إنّ الروح القدس يحلُّ عليك وقوّة العليّ تظلِّلك. لذا فالمولود منك قدّوس ويدعى ابنَ الله» (لو ١:٣٥). فقالت له: « ها أنا أمَةُ الربّ، فليكن لي بحسب قولك» (لو ١:٣٨).

إذاً بعد أن قَبِلَتِ العذراء القدّيسة، حلَّ الروح القدس عليها، على حسب كلام الربّ الذي قاله الملاك، فطهّرها ومنحها أيضاً قوّة استيعاب لاهوت الكلمة مع ولادته. وللحال، ظلَّلتها حكمة الله العليّ وقوّته، ابن الله المساوي للآب في الجوهر بمثابة زرع إلهيّ، فاستخلص لذاته من دمائها النقيّة الجزيلة الطهارة جسداً حيّاً، نفسُه ناطقة عاقلة، هو بكر عَجْنتنا، ليس مزروعاً بل معمولاً بفعل الروح القدس، ليس منجزاً شكله بنموٍّ بطيء، بل تمَّ دفعة واحدة، لأنَّ كلمة الله نفسه قد أضحى أقنوماً لجسده. فإنَّ الكلمة الإلهيّ لم يتّحدْ بجسم له أقنومُه قائمٌ في ذاته، بل إنّه - لمّا حلَّ في أحشاء العذراء القدّيسة وهو غير محصور في أقنومه - قد أقام له جسداً حيّاً ذا نفسٍ ناطقة وعاقلة، وذلك من أنقى دماء الدائمة البتوليّة، فاتّخذ باكورةَ العجنة البشريّة وصار الكلمة نفسه أقنوماً للجسد، حتى إنَّ هذا الجسد كان معاً جسدَ ابن الله وجسداً ذا نفس ناطقة وعاقلة. لذا لسنا نقول بإنسانٍ يتألَّه، بل بإله يتجسّد. فإنّ الذي كان بالطبيعة إلهاً كاملاً، قد صار هو نفسه بالطبيعة (البشريّة) إنساناً كاملاً، ولم يُغيّر طبيعته ولم يتظاهر بالتدبير، بل إنّه - في الحبل به من البتول القدّيسة بجسد ذي نفسٍ ناطقة وعاقلة حاصلٍ على وجوده في ذاته - قد اتّحد بأقنومه اتحاداً لا اختلاط فيه ولا تغيير ولا تقسيم، دون أن يحوِّل طبيعةَ لاهوته إلى

جوهر جسده، ولا جوهر جسده إلى طبيعة لاهوته، ودون أن يؤلّف طبيعةً واحدة مركّبة من طبيعته الإلهيّة وطبيعته البشريّة المتّخذة. (القديس يوحنا الدمشقي)

القديس بونيفاتيوس

تُعيِّد الكنيسة المقدَّسة في التاسع عشر من كانون الأول لتذكار القديس الشهيد بونيفاتيوس الذي أرسلته مولاته من روما ليجلب لها شيئاً من رفات الشهداء في الشرق، فأعادوه إليها شهيداً. نرتل في صلاة الغروب في عيده: «لقد أرسلتك مولاتك أغلاييدا عبداً يا بونيفاتيوس، سائدة عليك الأهواء، فأتى بك السيد الإلهي إلى حيث كان الكَفَرة المُغتصِبون متملّكين، فحطّمت الأعداء وكُلّلت بإكليل الظفر».

عاش القديس بونيفاتيوس في أواخر القرن الثالث وبدايات القرن الرابع. لا نعرف عن تفاصيل حياته سوى أنه عاش في روما وكان وكيلاً لأعمال سيدة رومانية من أشراف المدينة، تُدعى أغلاييدا، وكانت جميلة وتحبّ الترف وإقامة الحفلات، وقد ارتبطت مع بونيفاتيوس بعلاقة شائنة. رغم بشاعة تصرّفاته، كان بونيفاتيوس يتحلّى بثلاث خصال حميدة: إضافة الغرباء، السخاء على الفقراء، والشفقة على المصابين بالتجارب.

بقيت أغلاييدا على علاقتها مع بونيفاتيوس لسنوات طويلة، إلى أن مسّتها نعمة الرب وشعرت بوخز ضمير يعذّبها ويدعوها إلى التوبة، لكنها آمنت أنها بالتوبة تنال المراحم الإلهية وغفران الخطايا بواسطة شفاعة القديسين الشهداء، فاستدعت بونيفاتيوس وأخبرته عن عظم الدينونة التي سوف تقع عليهما، وحثّته على التوبة أيضاً وطلبت منه أن يذهب إلى الشرق ليأتيها برفات شهداء قديسين «لأن الذين يكرّمون المعذّبين من أجل المسيح يشاركونهم المجد... أئتني برفات بعض أولئك الذين غلبوا الموت لنكرّم ذكراهم ونخلص بشفاعتهم».

جمع بونيفاتيوس المال اللازم لشراء رفات القديسين من الجلاّدين، وقال ممازحاً أغلاييدا أنه سوف يعود إليها بجسده وقد أضحى جسد شهيد، فوبّخته على دعابته في أمر لا يحتمل المزاح.

ذهب إلى الشرق الملتهب بالإضطهادات عام ٣٠٥. أثناء رحلته تسنّى له وقت للتأمل وأنار الرب قلبه فقرّر التوبة وأعلن صياماً امتنع فيه عن اللحم والخمر، وانكبّ على الصلاة والدموع تنهمر منه. كان يقول لمرافقيه: «انني خاطئ شقي لكن، لكوني ذاهباً لإحضار أجساد بعض القديسين الشهداء، ينبغي لي أن أباشر هذا الإمتناع عن الأشياء التي تلذ الحنجرة ».

وصل مع رفاقه إلى مدينة طرطوس (مدينة الرسول بولس) في كيليكيا، فأرسلهم إلى فندق، وانطلق إلى مقرّ حاكم المدينة. هناك وجد أكثر من عشرين شخصاً يعذّبهم الجُند. كان أحدهم

معلّقاً برجليه فوق النار، وآخر مقطوع اليدين، وآخر يُجلَد، وآخر يُشدّ من أطرافه حتى يكاد جسده أن يتمزّق. اندهش بونيفاتيوس من جرأتهم حتى أنه صرخ بصوت عالٍ: «عظيم هو إله المسيحيين وعظيم هو إله هؤلاء الشهداء. ابتهل إليكم يا خدّام يسوع المسيح أن تصلّوا من أجلي ليكون لي أن أنضمّ إليكم في محاربة الشيطان». اغتاظ الحاكم من وقاحة بونيفاتيوس وحاول إقناعه بالسجود للأوثان، إلا أن بونيفاتيوس رفض معلناً أنه مسيحي وسيّده هو يسوع المسيح ولا يخشى أي عذاب. أمر الحاكم بغرس أعواد من القصب المسنّن تحت أظافره، ثم صبّ الرصاص المغلي في فمه. وكان بونيفاتيوس يستجير باسم الرب. أرسله الحاكم إلى السجن وفي اليوم التالي حاول إقناعه مجدداً بالوعيد والتهديد لكنه لقي الجواب نفسه، فأمر بإلقائه في مِرجَل كبير من النحاس فيه زفت مغلي. رسم بونيفاتيوس إشارة الصليب فخرج سالماً. عندها أمر الحاكم بقطع رأسه.

فتّش رفاقه عنه فلم يجدوه، وظنّوا أنه في إحدى حانات المدينة. أخيراً صادفوا أخا السجّان فأخبرهم عن استشهاده بعدما وصفوه له وذكروا له اسمه، فذهبوا إلى حيث كان جسد بونيفاتيوس وتعرّفوا عليه. دفعوا ثمنه خمسمئة ذهبية وأخذوا الرفات وعادوا بها إلى روما.

استقبلت أغلابيدا جسد الشهيد وأقامت له ضريحاً خارج المدينة، ثم بَنَت كنيسة على اسمه وباعت كلّ ما لها من أملاك ووزّعت ثمنها على الفقراء، وأعتقت عبيدها وانفردت عائشة في الصوم والصلاة والتوبة. ولما رقدت بعد خمس عشرة سنة دُفِنَت إلى جانبه في ضريحه. فبشفاعة القديس بونيفاتيوس يا رب ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ قداس الميلاد

لمناسبة ميلاد ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة البرامون (التهيئة) عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢٤ كانون الأول في كنيسة القديسين البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية وخدمة قداس الميلاد عند التاسعة والنصف من صباح السبت ٢٥ كانون الأول في كنيسة بشارة السيدة. كذلك يترأس سيادته عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٢٦ كانون الأول خدمة القداس الإلهي في كنيسة نياح السيدة، رأس بيروت. ويستقبل سيادته المهنئين بالعيد يومي السبت والأحد بين الثانية عشرة ظهراً والثانية بعد الظهر وبين الرابعة والسابعة مساء.

تأمــل

... عندما تسمع كلمة «ابن» لا تفهمها بالمعنى المجازي، بل بالمعنى الحقيقي، ابن بالطبيعة، لا بداية له. إنه لم يأتِ من العبودية إلى الكرامة بالتبني، بل هو ابن مولود منـــذ الأزل، ولادة لا لوم فيها، تفوق الإدراك. كذلك عندما تسمع أنه «بكر» (عبر ٦:١) لا تفكّر فيه تفكيراً بشـــرياً، لأن «الأبكار» بين البشر لهم أخوة آخرون كما هو مكتوب: «إسرائيل هو ابني البكـــر» (خـــر ٢٢:٤). ولكن كما أن راؤبين كان الإبن البكر وطرده إسرائيل لأنه صعد على مخـــدع أبيـــه (تك ٤:٤٩)، كذلك إسرائيل طرد ابن الآب من الكرم وصلبه (متى ٣٩:٢١). ويقول الكتـــاب عن آخرين: «أنتم أبناء الرب إلهكم» (تثنية ١:١٤). وفي موضع آخر «قلت: إنكم آلهة وبنـــو العليّ كلكم» (مز ٦:٨١)؛ «قلت» وليس «ولدتكم»؛ وبكلمة الله هذه، تلقّى هؤلاء البنوّة التي لـــم تكن لهم من قبل. أما هو، فلم يكن على حال آخر، ولم يولد على حال آخر، بل وُلد منذ البـــدء إبناً لله الآب، كائناً قبل كل بداية وقبل الدهور. ابن للآب مساوٍ في كل شيء للذي ولده، أزلـــيّ مولود من الآب الأزلي حياة مولود من حياة، نور من نور، حق مولود من حق، حكمة مـــــن حكمة، مَلِك مولود من ملك، إله من إله، قدرة من قدرة.

... إن سمعت الإنجيل يقول: «كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن ابرهيـــــم» (متـــى ١:١) فافهمه عن ميلاده حسب الجسد، لأنه ابن داود في ملء الأزمنة، ولكنه ابـــــن الله قبـــل كـــل الدهور، بلا بداية. تقبّل بنوّته الجسدية التي لم تكن له، أما بنوّته للآب فهي له منـــذ الأزل. إن له أبوين: داود بحسب الجسد، والله الآب بحسب الألوهية. فما هو بحسب داود يخضع للزمـــن ويُلمَس وله نسب؛ أما ما هو بحسب الألوهية فلا يخضع لزمان أو مكان، ولا نسب لـــــه. لأن «مولده مَن يصفه؟» (أشعيا ٨:٥٣). «الله روح» (يو ٢٤:٤) فوَلد روحياً – بصفته لا جسد له – ولداً لا يمكن الكشف عنه ولا إدراكه. الإبن ذاته يقول على لسان الآب: «الرب قال لي: أنـــت ابني وأنا اليوم ولدتك» (مز ٧:٢)؛ هذا «اليوم» ليس حديثاً بل أزلياً؛ هو يوم لا يحدّه زمن، قبل كل الدهور: «من الرحم قبل الفجر ولدتك» (مز ٣:١٠٩).

القديس كيرلّس الأورشليمي

(٣١٤ – ٣٨٧ م.)